

مقدمة الناشر

على أمتداد رقعة التاريخ تلمع أنوارٌ تأبى أن تخبو ، لأنها لمعت على الإنسانية بأبهى ضوء ، فبددت أشجانها ، ومست أجفانها بأحلام ساحرة ، وهددت نفوسها بأنعام أسرة ؛ ثم مضت من عالم الأجسام الزائل ، وصداها على خالد على الأحداث التي تمضى ثم تنسى .

على أمتداد رقعة التاريخ أسماء خلدت وخلد معها الأدب العربي الغنى بالثروة الأدبية الشعرية العجيبة التي يندر أن نجد أدباً من آداب العالم قد ظفر بتراث ضخم من هذه الثروة مثلما ظفر به هذا الأدب العربي الخالد .

ومهما كتب الكتّابون عن حياة الأدياء العرب ، ومهما درس الدارسون أدبهم ، فإن الكلام عنهم وعن أدبهم يتجدد دائماً في كل درس أو بحث أو مقال ؛ لأنه يطيب في السمع ، وتستروحه النفوس .

وفي هذا الكتاب الذي ننشره اليوم عرضٌ لحياة طائفة من الأدياء والشعراء العرب ، وإلماع إلى جهودهم الأدبية من خلال آثارهم ؛ بدأه المؤلف بالحديث عن ثلاثة من الشعراء الغزليين في العصر الأموي هم : عمر بن أبي ربيعة ، وجميل بن مَعْمَر صاحب بثينة ، وكثير ابن عبد الرحمن صاحب عزة . وقد سلكهم المؤلف في نسق واحد أستهل به الكتاب ، ولعله حين قصد ذلك كان مدفوعاً برأى الدكتور طه حسين حين قال :

« إن الغزل العربي الخالص لم يوجد مرتين ، وإنما وُجد مرة واحدة في أيام بني أمية ، ولم يكن له قبل الإسلام وجودٌ مستقل ، ولم يكن الشعراء الجاهليون يعنون به إلا على أنه وسيلة شعرية إلى ما كانوا يذهبون فيه من مذاهبهم الشعرية المختلفة . ولا نكاد نعرف بين الجاهليين شاعراً قصر حياته الشعرية على الغزل ، بل قليل جداً عدد القصائد التي لم يتناول فيها أصحابها إلا الغزل وحده ^(١) » .

ثم ينتقل المؤلف من العصر الأموي إلى العصر العباسي فيقدم لنا طائفة من شعرائه ، مثل : بشار بن بُرد ؛ ذلك الشاعر الذي قال عن نفسه :
قد عشتُ بين الندمان والراح والمزُ هَرٍ في ظلِّ مجلسٍ حَسَنِ
فهو يصوِّر لنا في هذا البيت حياة عصره حين أراد تصوير حياته هو ؛ يصوِّره في لحظة خاطفة ، فيها الصدق كله ، كآلة التصوير حين تلتقط مشهداً من المشاهد .

ثم تمرُّ بنا في هذا الكتاب كوكبة من الشعراء : العباس ابن الأحنف الذي تَرَنَّمَ بالحب العفيف ؛ وابن الرُّومي الشاعر الساخر ، كما سَمَّاه بعض المستشرقين ؛ والشريف الرضيَّ شاعر الرقة ؛ ثم المتنبي ذلك الشاعر الذي شغل زمانه وترك في سمع الزمان دويّاً هائلاً .

وينتقل بنا المؤلف إلى الأندلس — حيث كان للأدب العربي ازدهار — فيعرض علينا صوراً أخرى ؛ فنحن مع شاعر العاطفة والحب ابن زيدون الشاعر الوزير ، ثم مع صاحبه ولادة بنت المستكفي ، وابن زمرك الشاعر الملك ؛ حتى يبلغ بنا العصر الحديث ، فيقدم لنا طائفة من الشعراء أمثال جميل صدق الزهاوي ومعروف الرصافي وأبي القاسم الشابي ، ثم مصطفى صادق الرافعي وعبد الحميد الديب والآنسة مي وإبراهيم ناجي وأحمد زكي أبي شادي وإيليا أبي ماضي ؛ لينتهي الموكب عند الشاعرين أحمد شوقي وحافظ إبراهيم .

ونحن إذ تقدم للقارئ هذا العرض الذي كتبه المؤلف نرجو أن نكون قد وضعنا بهذا الكتاب باقة من الزهر على أجداث هؤلاء الخالدين الذين سيظل موكبهم مع موكب كثيرين ممن لم يذكروهم المؤلف يلوح للأجيال على امتداد رقعة التاريخ مائتاً سمع الزمان أعذب ألقانه .